أمَا وَالذي حَجّ الْمُحبُّونَ بَيْتَهُ = وَلبُّوا لهُ عندَ المَهَلِّ وَأحْرَمُوا
وقدْ كَشفُوَا تلكَ الرُّؤوسَ تواَضُعًا = لعزّةَ مَن تعْنو الوُجوهُ وتُسلمُ
يُهلُّونَ بالبيداَء لبيك ربّنا = لكَ المُلكَ وَالحَمْدُ الذي أنتَ تَعْلمُ
دعاهُمْ فلبّوْهُ رضًا ومَحبّةً = فلمّا دَعَوهُ كان أقربَ منهمُ
ترَاهُمْ على الأنضاءَ شُعْثًا رؤوسُهُمْ = وغُبْرًا وهُمْ فيها أسَرُّ وأنْعَمُ
وَقدْ فارَقوا الأوطانَ والأهلَ رغبةً = ولم يُثنهمْ لذّاتُهُمْ والتّنَعُّمُ
يَسيرونَ من أقطارها وفجاجها = رجالا وركّبانا ولله أسْلمُوا
ولمّا رأتْ أبصارُهُم بيتَهُ الذي = قلوبُ الورَى شوقًا إليه تَضَرّمُ
كأنهمُ لمْ يَنْصَبُوا قطُّ قبْلهُ = لأنّ شَقاهُمْ قد ترحّلَ عنْهُمُو
فللّه كمْ من عَبْرةٍ مُهْرَاقةٍ = وأخرى على آثارها لا تَقَدّمُ
وَقدْ شَرِقَتْ عينُ المُحبّ بدَمْعها = فينظرُ من بينِ الدّموعِ ويُسْجِمُ
إذا عَايَنَتْهُ العَيْنُ زالَ ظَلامُها = وزالَ عن القلب الكئيبِ التألُّمُ
ولا يَعْرِفُ الطرْفُ المُعاينُ حسْنَهُ = إلى أن يعودَ الطَرْفُ والشوقُ أعْظمُ
ولا عجبٌ من ذا فحينَ أضافهُ = إلى نفسه الرحمنُ ؛ فهو المعظّمُ
كساهُ منَ الإجْلالَ أعظمَ حُلة = عليها طَرازٌ بالمَلاحَة مُعْلَمُ
فمنْ أجلِ ذا كلُّ القلوبِ تُحبُّهُ = وتَخْضَعُ إجْلالا لهُ وَتُعَظّمُ
وراَحُوا إلى التّعْريف يَرْجُونَ رحمةً = ومغفرة ممّن يجودُ ويُكرِمُ
فللهِ ذاكَ الموقفُ الأعظَمُ الذي = كموقف يوم العَرْضِ بلْ ذاكَ أعظمُ
ويدْنُو به الجبّارُ جَلّ جلالُهُ = يُباهي بهمْ أمْلاكَه فهو أكرَمُ
يقولُ عبادي قدْ أتوني محبّةً = وَإنّي بهمْ برٌّ أجُودُ وأرْحَمُ
فأشْهدُكُمْ أنّي غفَرْتُ ذنُوبَهُمْ = وأعطيْتُهُمْ ما أمّلوهُ وأنْعمُ
فبُشراكُمُ يا أهلَ ذا الموقف الذي = به يَغفرُ اللهُ الذنوبَ ويرحمُ
فكمْ من عتيقٍ فيه كَمّلَ عتقهُ = وآخرَ يَستْسعَى وربُّكَ أرْحَمُ
ومَا رُؤيَ الشيطانُ أغيظَ في الورَى = وأحْقرَ منهُ عندها وهو ألأمُ
وَذاكَ لأمْرٍ قد رآه فغاظهُ = فأقبلَ يَحْثُو التُّرْبَ غَيْظا وَيَلطِمُ
وما عاينتْ عيناه من رحمة أتتْ = ومغفرةٍ من عند ذي العرْشِ تُقْسَمُ
بَنَى ما بَنى حتى إذا ظَنّ أنه = تمكّنَ من بُنيانَه فهو مُحْكَمُ
أتَى اللهُ بُنيَانًا له من أساسه = فخرّ عليه ساقَطا يتهدّمُ
وكمْ قدْرُ ما يعلو البناءُ وينْتهي = إذا كان يَبْنيه وذو العرش يهدمُ
وراحُوا إلى جَمْعٍ فباتُوا بمَشعرِ الْـ = ـحرَامِ وصَلّوْا الفجْرَ ثمّ تقدّموا
إلى الجَمْرةِ الكُبْرَى يُريدون رَمْيَها = لوقتِ صلاة العيد ثمّ تيَمّمُوا
منازلَهمْ للنحْرِ يَبغونَ فضلَهُ = وإحياءَ نُسْكٍ من أبيهمْ يُعَظّمُ
فلوْ كان يُرضي اللهَ نَحْرُ نفوسهمْ = لدانُوا به طَوْعًا وللأمرِ سلّمُوا
كما بَذلُوا عندَ الجهاد نُحورَهُمْ = لأعدائه حتّى جرَى منهمُ الدّمُ
ولكنّهمْ دانُوا بوَضْعِ رؤوسهمْ = وذلكَ ذلٌّ للعبيد ومَيْسَمُ
ولمّا تقضّوْا ذلكَ التّفَثَ الذي = عليهمْ وأوْفَوا نذرَهُمْ ثمّ تَمّمُوا
دعاهُم إلى البيت العتيقِ زيارةً = فيَا مرحبًا بالزائرين وأكرمُ
فلله ما أبْهَى زيارَتَهُمْ لهُ = وقدْ حُصّلتْ تلكَ الجَوائزِ تُقْسَمُ
وَلَله أفضالٌ هناكَ ونعْمَةٌ = وبرٌّ وإحْسَانٌ وجُودٌ ومَرْحَمُ
وعادُوا إلَى تلكَ المنازلِ من منَى = ونالُوا مناهُمْ عندَها وتَنَعّمُوا
أقامُوا بها يومًا ويومًا وَثالثًا = وأذّنَ فيهمْ بالرحيلِ وأعْلمُوا
وراحُوا إلى رمْيِ الجمارِ عَشيّةً = شعَارُهُمُ التكْبيرُ واللهُ مَعْهُمُو

فلو أبْصرَتْ عيناكَ موقفَهمْ بها = وَقدْ بسَطوا تلكَ الأكفّ ليُرْحَمُوا
ينادونَهُ يا ربّ يا ربّ إننا = عبيدُكَ لا ندْعو سواكَ وتَعْلَمُ
وها نحنُ نرجو منكَ ما أنتَ أهلُهُ = فأنتَ الذي تُعْطِي الجزيلَ وتُنْعِمُ
ولمّا تقضّوْا من منًى كلّ حاجة = وسالتْ بهمْ تلكَ البطاحُ تقدّموا
إلى الكعبة البَيتَ الحَرام عشيةً = وطافُوا بها سبْعًا وصَلوْا وسلّمُوا
ولمّا دَنَا التوْدَيعُ منهمْ وأيْقنُوا = بأنّ التدَاني حبْلُهُ مُتَصَرّمُ
ولمْ يبقَ إلاّ وقفةٌ لمُوَدّعٍ = فلله أجفانٌ هناكَ تُسَجّمُ
ولله أكبادٌ هنالكَ أُودِعَ الـ = ـغرَامُ بها فالنارُ فيها تَضرِمُ
ولله أنفاسٌ يكادُ بحَرّها = يذوبُ المُحبُّ المُسْتهَامُ المُتيّمُ
فلمْ ترَ إلا باهتًا مُتَحَيّرًا = وآخرَ يُبْدِي شجوَهُ يترَنّمُ
رَحلتُ وأشْواقِي إليكُمْ مُقيمَةٌ = ونارُ الأسَى منّي تَشُبُّ وتَضْرِمُ
أوَدّعُكُمْ والشوقُ يُثني أعنّتي = وقلبيَ أمْسَى فِي حماكُمْ مُخيّمُ
هنالكَ لا تَثْريبَ يوماً عَلَى امرئ = إذا ما بَدا منه الذي كانَ يكْتُمُ
فيَا سَائقينَ العيسَ بالله ربّكمْ = قفوا لِي علَى تلكَ الرّبوعِ وسلّمُوا
وقولوا مُحِبٌّ قادَهُ الشوقُ نحوكُمْ = قضَى نحبَهُ فيكُمْ تَعيشُوا وَتَسْلمُوا
قضَى اللهُ ربُّ العرشِ فيمَا قضَى بهِ = بأنّ الهوَى يُعمِي القلوبَ ويُبْكِمُ
وحُبُّكُمُ أصْلُ الهَوَى ومَدَارُهُ = عليه وفوزٌ للمُحبّ ومَغْنَمُ
وتفنَى عظامُ الصّبّ بعدَ مَماته = وأشْواقُهُ وقْفٌ عليه مُحرّمُ
فيَا أيُّها القَلبُ الذي مَلكَ الهَوَى = أزمّتَهُ حتى مَتى ذَا التلوّمُ
وحَتّامَ لا تصْحُو وقدْ قرُبَ المَدَى = ودانتْ كُؤوسُ السّيْرِ والناسُ نوّمُ

كاتب المقالة : ابن القيم الجوزية
تاريخ النشر : 04/10/2011
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com